

أثر المكان في تحديد ملامح شخصية البطل في رواية (الطريق) لنجيب محفوظ و(الطريق) لعبد الحليم إبراهيم (دراسة موازنة).

أ.م. د. سلافة صائب خضير

قسم اللغة العربية

كلية التربية / ابن رشد

(الطريق) عنوان حملته روايتان كتب واحدة منهما نجيب محفوظ، في حين كتب الأخرى إبراهيم عبد الحليم، ولعل تشابه العنوان يلفت النظر الى ضرورة قراءتهما ؛ لتبيين الفرق بينهما، لاسيما أن العنوان مؤلف من كلمة واحدة فيه من الغموض ما يحمل القارئ على قراءة هاتين الروايتين، ثم الموازنة بينهما وصول الى براعة مبدعيهما الفنية، وتوظيفهما لمفهوم المكان في الروايتين لخدمة الحدث وشدّ القارئ إليهما.

رواية (الطريق) لنجيب محفوظ رواية رائعة تصوّر طريقَ بحثِ شاب عن والده بعد أن أدرك أنّه على قيد الحياة، في وقت عاش حياته، وهو موقن بموته.

أما رواية (الطريق) لإبراهيم عبد الحليم فهي طريق عودة سجين الى سجنه بعد أن قام الأطباء بفحصه ونفي إصابته بمرض قاتل معدٍ ، بعدما شك بذلك أطباء السجن، فأخذ الى مستشفى آخر لفحصه ومعالجته، ففي (الطريقين) رحلة استكشاف عبر المجهول للوصول الى الحقيقة ؛ لذا كان لزاماً أن نسير معهما محاولين الوصول مع البطل الى خط النهاية في سباقه مع قدره.

تبدأ رحلة بطل طريق محفوظ (صابر) عندما اعترفت له أمه . وهي على فراش الموت . بعد خروجها من السجن، واكتشافها أن ولدها قد بدد ما تركته له من أموال في عيشه المرفه، اعترفت له بسرّ أذله وهو : أن والده الذي ظنه ميتاً قبل مولده حيّ ، غير أنها لاتعرف مكانه قالت : ((الواقع أن الحكومة صادرتك ساعة صادرت أموالي، لم يعد لي الحق في امتلاكك أنت أيضاً ، أدركت ذلك يوم صدور الحكم، وضمنت من شدة معاناة اليأس ثم واصلت : معنى هذا أنه يجب أن تهجري.

- تساءل بامتعاض : الى أين ؟

- أجابت بصوت لايكاد يسمع : الى أبيك !

- رفع حاجبيه المقرونين في ذهول هاتفاً : أبي ؟ !
 - فهزت رأسها علاقة الإيجاب، فقال : لكنه ميت، أنت قلت أنه مات قبل مولدي...
 - إذن فلا تحاسبني واستعد للبحث عنه...
 - البحث ؟ !... أمي ما معنى هذا كله ؟
 - معناه أنني أوجهك الى المخرج الوحيد من ورطتك، وهل أضيع عمري في البحث عن شيء قبل التأكد من وجوده ؟
 - ولكنك لن تتأكد من وجوده إلا بالبحث، وهو خير على أي حال من بقائك بلا مال ولا عمل ولا أمل ((
 (1).

وكانت كلمة (البحث) هي إشارة البدء في المسير للوصول إلى الحقيقة، ولكن قبل بدء السير نرى البطل يتلفت ليرى نفسه في مفترق طرق أخرى قصيرة يرى نهايتها واضحة بخلاف هذا الطريق الطويل ذي النهاية المجهولة، لذلك قال لأمة : ((موقف غريب لن أحسد عليه.
 - بديله الوحيد أن تعمل برمجياً أو بلطجياً أو قواداً ، أو قاتلاً ، فلا بد مما ليس منه بد (((2). وكلها مهن لايرضاه أو ترضاه له أمه، فلا مفر إذن من السير في هذا الطريق المجهول.
 أما بطل طريق إبراهيم عبد الحليم فلا نعرف له اسماً ؛ لأنه يسير فيه وحده، فلا داعي لنخبر عن اسمه، وما فائدة ذلك الا لنميزه من غيره، وكل من حوله هم أشخاص نراهم بعينيه، فلاخوف من أن يختلط حديثه مع حديثهم.

يبدأ بطل عبد الحليم طريقه مجبراً هو مع من معه فيه، ونحن لا نعرف سبب ذلك في الأمر، قال : ((لم نكد نخرج من المبنى ونخطو خطوات قليلة حتى وصلنا الى العربية التي كانت في انتظارنا. كانت عربية كبيرة من عربات اللوري. كانت غريبة الشكل، ومن النوع الذي يتجمع حوله الأطفال إذا وقفت في شارع أو أمام بيت من البيوت... وكان قفص العربية الخلفي الذي وقفنا نتطلع إلى هيكله الضخم يشبه الى حد كبير الأقفاص التي توجد في حدائق الحيوانات... وكنت أول من صعد، وكانت أيدي وعيون هؤلاء الذي كانوا يرافقونني تحيط بي أثناء صعودي... ولم يكد هؤلاء الذين جاءوا لمرافقتي يطمئنون الى سلامتي حتى أمسكوا واحداً بعد الآخر بجدار العربية و قفزوا الى داخلها تباعاً وبحركات سريعة وكأنهم بهلوانات دربت على القيام بهذه العملية الصعبة، وقامت بأدائها مئات المرات... وتحركت العربية... (((3).

وبدأ البطل السير في الطريق حقاً ولا خيار آخر عنده، ويبدو لنا الفرق واضحاً منذ البداية، فطريق محفوظ طريق معنوي، أما طريق عبد الحليم فهو طريق حقيقي يرمز الى أشياء معنوية، طريق الأول مجهول تماماً، فعندما سأل صابر أمه عن المكان الذي سيبحث فيه أجابته :

« من قال إنه اليوم في القاهرة ؟ لم لا يكون في الإسكندرية، أو في أسبوط أو دمنهور، الحق إنه لم يطلعني على حال من أحواله، أين هو اليوم، ماذا يعمل، أهو أعزب أم متزوج ؟ الله وحده يعلم... » (4) ؛ لذا رأى صابر أن يبقى « الأمر سراً ، وإذا خاب مسعاه فليستعن بمعارفه، وليبدأ بالاسكندرية... واتخذ من دليل التلفون دليله... » (5).

وقبل بدء المسير يبدأ بطل محفوظ بالنظر حوله حتى يرى واقعه الذي كان يعيش فيه للمرة الأخيرة، قال : « وفي شقة الجيران أخذ المدعوون يتوافدون وانغام الموسيقى تترامى، هذا وصوت القرآن يتلى في غرفة المرحومة، والآن أين هي الحقيقة وأين هو الحلم ؟ أمك التي ما تزال نبرتها تردد في أذنك قد ماتت، وأبوك الميت يبعث في الحياة. وأنت المفلس المطارد بماض ملوث بالدعارة والجريمة تتطلع بمعجزة الى الكرامة والحرية والسلام » (6).

ويتلفت بطل عبد الحلیم حوله فيصف لنا ما يرى : « كان المبنى الذي رحلنا عنه يقع خارج مدينة أسبوط بعيداً عن البيوت والشوارع. كان مثل القلاع التي قرأنا عنها في كتب التاريخ وفي القصص التي تتحدث عن السادة الإقطاعيين، وعن أمراء ونبلاء القرون الوسطى... وكان المبنى الذي كنت أقيم فيه يقف وحيداً منعزلاً مثل شبح أو شيطان أربب بمنظره المباني الأخرى فطلت بعيدة عنه لايجسر أحدها على أن يقترب منه » (7).

وبطل محفوظ متشبث بالماضي لا يريد أن يخرج منه، بل هو يرى نفسه فيه، مسجوناً في المكان نفسه، بينما بطل عبد الحلیم قد بدأ رحلته فعلاً تاركاً الماضي خلف ظهره.

بدأ بطل محفوظ رحلة بحثه يسأل كل من يشبه اسمه اسم أبيه عن ماضيه مستعيناً بصورته القديمة مع أمه، التي اعطتها له قبل وفاتها. أما بطل عبد الحلیم فبدأ منذ خروجه من (المبنى الذي كان فيه ينظر حوله متطلعاً الى الأرض وسنابل القمح، والى السماء ؛ ليرى الألوان حوله ويتفحصها. وتذكر أموراً كانت في الماضي تسعده، تذكر حديقة الحيوان التي كان يذهب إليها في صغره، وتذكر أطفاله الثلاثة الذين يشبهون في حركاتهم القروء التي كان يراها في الحديقة. وكلما رأى شيئاً في الطريق الذي تسير فيه السيارة التي تقله كالأشجار والأزهار تذكر أشباهها التي كانت تنمو في قريته التي كان يعيش فيها قبل دخوله (المبنى الذي كان فيه) (8). ويعني به السجن وان لم يسمه باسمه.

أما طريق بطل محفوظ فهو سجن متحرك لا يتمكن من الفرار منه كلما ظن أنه نجا منه عاد إليه وتمثل هذه الحالة عنده بجعله مكان أبيه فإذا سأل أحداً عن أبيه قيل له : ولم تبحث عنه ؟ فيضطر الى اختلاق الأعذار « ثم يجيبه الجواب النهائي كجدار السجن: غير معروف لدينا. » (9).

والرواية ((تسجل الانتقال من حالة البراءة الى حالة التجربة، من ذلك الجهل الذي يعد بركة الى الإدراك الناضج لسلوك العالم الفعلي، أي إنها... تعالج الفرق بين الظاهرة والحقيقة)) (10) ؛
لذلك فليس شرطاً أن يحقق البطل البطولات الفعلية، وإنما يكفي كونه ((القادر على تضخيم أحلام المجد من خلال إهمال الوقائع المادية لوضعه ولزمه)) (11). ويمكن للبطل أن يعيش عيشة سعيدة لو أنه يتخلى عن أوهامه وغروره (12). ومن هنا يمكننا أن نفهم أهمية الشخصية، واعني البطل بشكل خاص في كونه من عناصر السرد الرئيسية، بها تتحقق الحادثة، فيتطور من خلالها الحدث ؛ لذا ((يكون من الخطأ أو التفرقة بين الشخصية وبين الحدث ؛ لأن الحدث

هو الشخصية، وهي أو هو الفاعل وهو يفعل)) (13). ويكون المكان بعد ذلك خلفية أحداث الرواية ؛ لذا ((فهو ليس حقيقة مجردة وإنما هو يظهر من خلال الأشياء التي تشغل الفراغ أو الحيز، وتقوم دراسة تشكيل المكان على استخراج هذه المقاطع ودراسة طبيعتها وصياغتها، وهي توظف توظيفاً جمالياً في خدمة محور الرواية، وفي اضافة الظلال والدلالات على مسار القصة)) (14). وقد كان الطريق في رواية عبد الحليم ثيمة بنيت عليها الرواية، مما يشكل دلالة واضحة على حرية البطل الكبيرة التي تمكنه من الأحساس بما حوله والتفاعل مع محيطه الخارجي على الرغم من أنه . كما عرفنا بعد نهاية الرواية . كان سجيناً ، إلا أنه كان يريد أن يعيش الحياة التي وهبت له بعد أن ظن أنه سيموت، في حين طريق بطل محفوظ انتهى به الى أن يكون سجيناً في غرفة لوحده مع أفكاره التي كانت تقوده على طول الطريق حتى أوصلته الى مكان يشعر البطل فيه بعجزه عن أداء دوره الذي كان من المفترض به أن يؤديه في الحياة، ولكن مع ذلك نراه يحس بالاستقرار والسكون الذي يبسر له استعادة الماضي وفهمه على حقيقته (15). وإذا كان المتلقي قد أدرك حالة الاستقرار التي يمر بها البطل فإن نقيض هذه الحالة قد مر بنا كثيراً من خلال المكان العتبة أي ((المكان الانتقالي غير المستقر، الذي لا يمثل سوى محطة عابرة للشخصية كالممرات والمقاهي والبارات والفنادق والشقق)) (16).

فقد أحدث هذا المكان في نفس صابر أحاسيس مختلفة فتارة يجد الأمن والأمان فالمحل الصغير الذي يدعى (فتركوان) وهو مطعم للشطائر ومشرب للعصير والقهوة كان يجسد السعادة والهناء عنده فقد كان يلتقي بإلهام فيه ((تبعها بلا تردد، ثم الى الداخل من خلال حاجز زجاجي فراها جالسة الى مائدة منفردة، وتبين حقيقة المحل وهو مطعم للشطائر ومشرب للعصير والقهوة. دخل كأنما يقصد البوفيه ثم لمحها . مصادفة . فتהלل وجهه ومضى الى مائدتها في أقصى المحل والنادل يضع أمامها طبقاً بالشطائر وكوباً من عصير البرتقال : مصادفة جميلة جداً ، هل تسمحين لي بمشاطرتك المائدة ؟)) (17). فهو ينسجم مع هذا المكان ويشعر فيه بالسكينة لأنه يلتقي فيه مع (إلهام) تلك الشابة التي تمثل النقاء والصفاء

في حياته. غير أنه لا ينسجم مع الفندق ومن يسكنه، قال : ((وقضى ساعة وهو يبحث عن فندق رخيص في الميدان وما حوله حتى وجد نفسه في شارع الفسقية ذي البواكي أمام فندق ((القاهرة)) .

وقف على الطوار المسقوف المقابل للفندق... وهو مبنى قديم، ترابي الجدران، مكون من أربعة أدوار وعلوية فوق السطح، وذو باب مرتفع مقوس الرأس كوجه باكٍ، يفتح على مدخل مستطيل ينتهي إلى السلم ويتوسطه مكتب جلس إليه رجل إلى جانبه امرأة... ووقف صابر أمام المكتب والعجوز عاكف على دفتر يطالعه من خلال عدسة مكبرة يمسك مقبضها المعدني

الصغير بيد مرتعشة (((18). فقد شكل هذا المكان العتبة عارضاً وقتياً أراد صابر ازالته بالوسائل التي يمتلكها. حتى يصل إلى مبتغاه في الوصول إلى والده. وبهذا يغدو ((وصف الأشياء ما هو الا تعبير عن معاناة الإنسان أمامها فهي بعض منه، وهي قد تكون صورة لأمانيه وتطلعاته، أو قد تصبح العلامة الدالة على واقعه المعاش ووضعها اليومي)) (19).

أهمية المكان في بناء الروايتين الفني :

لقد ركز الكاتبان على المكان في محاولة منهما تجسيد الأفكار والمشاعر والأحاسيس، بل يشعر بهذا الأمر كلما تعمق في قراءة الروايتين، ومن خلال المكان استطاعت الشخصيتان اللتان تمثلان بطلي الروايتين أن يتعرفا على ذاتيهما من خلاله، بل إنَّ التحول السريع في المكان في رواية عبد الحليم أدى إلى التحول السريع بشخصية البطل، ومفهومه للعالم الخارجي، قال :

((ونفس المناظر والأشياء التي رأيتها منذ وقت طويل ونحن في طريقنا إلى الأتوبيس وأنا أراها مرة أخرى، ولكن بقلب آخر، ويعيون أخرى وإحساس الإنسان الذي يشعر أنه يرى زهوراً ، وليس من حقه أن يستمتع بجماله، أو يملأ صدره بعبيقها، ويرى حياة عظيمة ورائعة تتدفق بالعمل والبناء والحركة وبالحب والبهجة، ويحس بأنه لم يعد جزءاً من تلك الحياة، ولم يعد من أية حياة أخرى، ويحس بأن أرض الأوطان كلها التي وسعت آلاف الملايين من البشر قد لفظته، و كأنه لم يعد ابنها، وكأنها لم تعد في حاجة إليه)) (20)، بل إنَّ البطل يشعرنا بذلك قال :

((وأنا أتذكر اليوم الذي رحلت فيه من سجن الواحات منذ أسبوعين، أي فارق بين رحلة الذهاب ورحلة العودة ؟ نفس الطريق الذي نعبره الآن. كان هذا الطريق ولسنين طويلة حتماً عندي، وعند رفاقي وعند سكان الواحات جميعاً مثل الفارق بين أن تكون في المنفى، وأن تعود إلى أرض الوطن. كنا مثل جزء من جسد بلا شرايين تربطه بالقلب. كنت يومها ولأول مرة أرى اللحم بعد أن تحقق)) (21).

ثم قال : ((وها أنا أعود وقد تأكدت أن تشخيص الطبيب لم يكن صحيحاً وأن حياتي ليست مهددة، وأني لا أهدد حياة الآخرين. نفس الطريق الذي نعبره الآن، وربما كانت نفس العربة، وربما كانت هناك، وفي

نفس المقعد الذي تجلس فيه الفتاة السمراء فتاة أخرى أكثر منها جمالاً وفتنة... ولكن... أي فارق بين أن ترى الشيء وقلبك ينبض بالحياة والأمل وأن تراه بإحساس من يلفظ آخر أنفاسه (((22). فالمكان لم يعد يشكل في الرواية إطاراً تجري الأحداث فيه، وتتصارع فيه الشخصيات حسب، وإنما اكتسب سمات الكائنات الحية، واتسم بصفات خيالية أضفاها الروائي عليه :

((ونغمات الموسيقى وهي تعلق وتنطلق من نوافذ العربة الى الفضاء اللانهائي، والريح وهي تعزف على الرمال و الرمال وهي تبدو مثل بساط كبير، كبير جداً من الحرير الأصفر والعجلات، وهي ما زالت تدور وتدفع العربة في الطريق الذي يتلوى مثل الثعبان (((23). أما في الطريق محفوظ فالمكان أصبح جزءاً من التجربة الذاتية بعد أن ارتبطت صفاته الواقعية باللحظة النفسية التي تمرُّ بها الشخصية، فالسجن صار مكاناً آمناً ، حمى البطل من أفكار الماضي البغيض، قال: ((في السجن وحدك لا يزار من ليس له أهل. وإلهام تخطر كالحلم وهي تعرف الآن الحقيقة. شفيت ولاشك من الحب ولعنته. وها هي الجرائد تعيد القصة، بل ها هي تكشف عما خفي عنك من أسرارها، والصور تملأ الصفحات... الجرائد لا تترك كبيرة ولا صغيرة في سجن الموت تتحرر من علاقات الحياة كلها فلا تهتك الفضائح. أنت متحرر من الكبرياء والخجل كما كنت، وأنت في الرحم (((24).

طريقة توظيف الروائيين الوصف لتوضيح ملامح البطلين :

ولابد إذا ما أردنا إدراك الرحلة التي قام بها الروائيان منذ بدء روايتهما الى منتهائها من أن نفهم الطريقة التي استطاع بها كل واحد منهما الاستعانة بها ؛ ليوصل فكرته إلينا، وأعني بها الوصف وهو واحد الأساليب التي تجسد المكان، ويفسر النقاد الوصف ؛ بكونه ((نظاماً أو نسقاً من الرموز والقواعد يستعمل لتمثيل العبارات وتصوير الشخصيات أو مجموع العمليات التي بها يقوم المؤلف لتأسيس رؤيته الفنية (((25). والوصف ((وسيلة لتجديد إطار الأحداث والشخصيات ووسيلة لإبراز ملامح الإنسان، ونقل تفاصيل واقعه والأشياء التي ترتبط به، وقد كان لذلك أثره في شدّ الأحداث والشخصيات الى أماكن وأزمنة معروفة (((26). لقد استطاع محفوظ أن يوظف الوصف في وظائف شتى، فقد استعمله حلية أراد أن يزخرف بها الحدث الذي سيقدمه الى المتلقي، بل حدد فيه إطار ذلك الحدث، وهو بهذا الأمر وضح العلاقة بين الحدث والشخصية الرئيسة التي ستقوم به، قال : ((وألقى على المقبرة نظرة شاملة فارتاح لأناقتها، وترأى له بين قضبان النافذة اللباب والصبار والريحان التي تزركش جدار الفناء والأركان. كانت رحمها الله تحب الرفاهية، فأعدتها للدارين، ولكن لم يبق لها الا المقبرة (((27). وعند النظر الى العلاقة بين المكان والحدث في طريق محفوظ نجد أنها علاقة انفصال، فالبطل ينظر الى المقبرة التي ستضم وفاة أمه

التي تركته مودعة الى عالم الأموات، تركته وحيداً بلا مهنة، ولا نقود، ولا حتى سمعة طيبة تعينه على العيش بين الناس، فهو يكره هذا المكان ولكن ما يعزيه أنه ضم جسد أغلى الناس على نفسه.

أما في طريق عبد الحليم فقد كُرس الوصف لعرض الرواية كلها، فالحوار فيها قليل لا يضعه الروائي الا لیسدّ به فراغاً ما، أما الوظيفة التزينية فقد كانت حاضرة في الرواية، قال :
« ووقعت عيني على لافتة زرقاء معلقة على جدار أحد البيوت. وعرفت اسم الشارع الذي كنا نعبره. شارع الجمهورية. وعرفت بذلك أننا نعبر قلب المدينة وأهم شوارعها ؛ لأن كل الأحداث التي مرت بمصر في السنين الأخيرة تعتبر مجرد زقاق، أو حارة إذا قورنت بهذا الحدث» (28).

ونلاحظ الضد في طريق محفوظ، أما عبد الحليم فقد عزز علاقة الارتباط بين الشخصية الرئيسة، والطريق الذي تسيره الى نهاية الرواية، بل إن الشخصية تشعر المتلقي أن ما يحصل في الخارج هو عين ما يحس به البطل، قال : « كنت أرى حياتي وهي تعرض أمامي في هذا الشريط السينمائي. كان كل شيء أراه يمثل شيئاً في حياتي لم أكن الشخص الذي يجلس داخل العربة. و لم أكن الشخص الذي يرى الحياة التي تجري في خارجها. و لم تكن الأشياء الذي تبدو في الشريط هي نفس الأشياء التي توجد هناك أو نفس الحياة التي كانت تجري، والتي كنت أراها، وعربة اللوري تندفع الى قلب المدينة. كان كياني قد اختلط بتلك الأشياء فأصبحت كياناً آخر، وأدركت . وكأني اكتشفت حقيقة لم أكن أعرفها من قبل . أن الانسان لا يعيش في نفسه بل يعيش في الناس وفي الطبيعة وفي العالم الذي يموج من حوله بكل ما فيه من قبح، وجمال، وقسوة، وطيبة، وظلم، و عدالة، وورعب، وطمأنينة، وحب، وإخاء، ورفاهية، و سعادة، وانبهار، وتطلع الى المجهول» (29). واستطاع محفوظ تسخير وظيفة الوصف الأخرى أي الوظيفة التفسيرية (30) في تحديد ملامح البطل، وتحديد مكانه في الرواية. فنجد وصفه يتطور مع الرواية، وكلما مضينا أكثر في الأحداث ازداد الوصف اتساعاً ؛ ليربط الشخصية مع ما حولها حتى تصبح في نهاية المطاف جزءاً لا يتجزأ من المكان الذي وجب عليها أن تبقى فيه، قال : « واندفع نحو السور الفاصل بين سطح الفندق، وسطح العمارة الملاصقة فعبه كالمرّة الأولى. آه... يرتجف ولكن ما أحوجه الى قوة أعصابه. و مضى الى باب السطح ثم نزل في ظلام دامس حتى مدخل العمارة المضاء بمصباح سهوري. رأى حجرة البواب مغلقة، والباب الخارجي مغلقاً كذلك والمفتاح في القفل. كل شيء معد كأنما بتدبير سابق. دلف من الباب وأدار المفتاح ولكنه لم يطاوعه ! لماذا ؟ وشده بحذر فأخذ يفتح، فأدرك أنه كان مفتوحاً ، لماذا أيضاً ؟ أراد أن يخرج ولكن أعترضه شبح رجل سدّ الفتحة سداً وهو يسأل بصوت جاف : من ؟» (31). فالمقطع الوصفي هذا رسم نفسية البطل التي كانت تتجلى أمامنا شيئاً فشيئاً مع كل كلمة من كلماته فكلمة (السور) كانت دلالة على الفاصل بين مرحلتين من مراحل حياته المرحلة الأولى قبل الرحلة والمرحلة الثانية بعدها، ثم

التخطيط لجريمة القتل كان طريقه الى العبور الى الحياة الثانية. ثم باب السطح الذي حاول فتحه ووجده مفتوحاً كان بمثابة الجريمة التي اقترفها عندما قتل صاحب الفندق بمساعدة زوجه التي كانت في الأصل مجرمة بحق نفسها بزواجها منه، ثم بخيانتها له.

وتبدو الوظيفة التفسيرية حاضرة في تفصيل حالة البطل الذي لا يمكنه أن يتنبه لهذه التفاصيل الدقيقة، غير أن محفوظ استطاع أن يسخر هذه الوظيفة ؛ ليزيد من ديناميكية العمل الفني، ويعزز المشهد الذي يصوره لنا فيبدو كأنه شيء حي متحرك يتجلى واضحاً في ذهن السامع. غير أن هذه الحركة ستغدو بطيئة عندما يلقى القبض على صابر، فينجلي الموقف أمامه واضحاً ، ويبدأ يصف لنا حاله ومآله بنفسه، قال، ((الحكاية كلها كالحلم جئت من الاسكندرية للبحث عن أبي، ف وقعت أحداث غريبة نسيت فيها مهمتي الأصلية حتى وجدت نفسي أخيراً في السجن... ثم وهو يتهد : والآن أكاد أن أنسى كل شيء الا المهمة الأصلية التي جئت من أجلها)) (32).

تطور وظيفة الوصف التفسيرية أفادنا في معرفة الحالة النفسية التي يمر بها البطل منذ بدء الرواية، وحتى نهايتها فإذا بنا أمام طريق البحث عن حياة جديدة ؛ لذا نجد البطل ينظر الى الدنيا بمنظار آخر، قال : ((ونفس المناظر والأشياء التي رأيتها منذ وقت قليل ونحن في طريقنا الى الأتوبيس، وأنا أراها مرة أخرى، ولكن بقلب آخروبعيون أخرى، وبإحساس الإنسان الذي أنه يشعر أنه يرى زهوراً وليس من حقه أن يستمتع بجمالها أو يملأ صدره بعبيقها ويرى حياة عظيمة ورائعة تتدفق بالعمل، والبناء، والحركة، وبالحب، والبهجة)) (33). وهو يحاول أن يسوغ لنا هذا كله قائلاً : ((كنت قد أصبت نبوية برد حادة تحولت الى حمى، وقرر الطبيب أن رثتي اليسرى مصابة وأن الرئة الثانية مهددة وأمر بسرعة ترحيلي لعمل أشعة لصدري في مستشفى سجن أسبوط. وظللت طوال الطريق وبلا صوت، ومع الحشجة التي تخرج من صدري أردد كلمة السل السل، وكأنها شبح يلاحقني. وها أنا أعود وقد تأكدت أن تشخيص الطبيب لم يكن صحيحاً، وأن حياتي ليست مهددة، وأني لا أهدد حياة الآخرين. نفس الطريق الذي نعبره الآن وربما كانت نفس العربة... ولكن... أي فارق أن ترى الشيء وقلبك ينبض بالحياة والأمل، وأن تراه بإحساس من يلفظ آخر أنفاسه)) (34).

وقد نجح الروائيان كلاهما في الاستعانة بالوظيفة الإيهامية(35) , واستعمالها بالشكل الأمثل، فحاولا بناء المكان في الروايتين بشكل مقنع الى حد أن المتلقي سيحاول البحث عن أوصاف الأماكن التي ذكراها فيما حوله من الأشياء لعله يستعيد جزءاً يسيراً من المشاعر والأحاسيس التي حاول الروائيان بثها فيه. فقد استطاعا رسم صورة بالكلمات للمشاهد التي مر بها بطلا الروايتين اللذان تلونا بحسب البيئة التي كانا يوجدان فيها. فالبطل كان يتماشى مع بيئة وبالشكل الذي تكون عليه، والبيئة كانت بدورها مرآة تعكس الحالة النفسية التي يمر بل البطل، فلا نجد عند ذلك تتافراً بينهما يفضي الى إحساس المتلقي بأن ما يقرأ ليس

سوى محض خيال متان، وانما يشعر المتلقي منذ بدء الروائيتين حتى نهايتهما بالانسجام بين البطل والمكان. وان كان محفوظ قد تفوق على عبد الحلیم في ذلك، ولكن عمل الأخير كان لافتاً للنظر مسترعياً للإهتمام.

لقد كان الوصف عندهما متسلسلاً ومتدرجاً في مساعدة الشخصية على التأقلم مع المكان الذي سيكون فيه، وأجد سلاسة في وصف عبد الحلیم من هذه الناحية. في حين أن محفوظ لا يثق بقدرة المتلقي على إدراك حقيقة الخيال الذي يعرضه أمامه ؛ لذا فهو يعتمد الى شرحه على لسان بطله الذي ينطق به في حوار مع محاميه الذي يحاول أن يجد له مخرجاً من مأزقه، غير أننا لو أنعمنا النظر في الحوار سنجد البطل يتوجه به الى نفسه الحائرة الضائعة في صحارى الوحدة والذنب، قال : « جئت من الاسكندرية للبحث عن أبي فوقعت أحداث غريبة نسيت فيها مهمتي الأصلية حتى وجدت نفسي أخيراً في السجن... والآن أكاد أن أنسى كل شيء الا المهمة الأصلية التي جئت من أجلها » ، وعندها يرد المحامي عليه قائلاً : « ولكن لا جدوى من التفكير فيها الآن، وربما أشرت إليها في مرافعتي باعتبارها أول جناية كتبت عليك قبل أن تولد » (36) ، ومصداق ذلك أن محفوظ يذكر المتلقي خلال قراءته الرواية أن قدر البطل هو السير على هذا الطريق، حتى صار شيئاً مألوفاً عند من حوله ان يجده فيه، قال : « وتمتم عم خليل: وفقت ان شاء الله ؟

. فأجاب متظاهراً بالمرح : في الطريق » (37).

الفضاء المديني العام / المفتوح :

لقد اختار الروائيان كلاهما المدينة لتكون خلفية لرواية كل واحد منهما. الا أن مدينة محفوظ كانت عمارات وبيوتاً ومباني يدخلنا البطل إليها كلما دخل الى واحدة تاركاً الاخرى. أما مدينة عبد الحلیم فقد كانت اماكن نراها بعيني البطل لمرتين مرة في طريق الذهاب وهو يظن نفسه مريضاً بمرض خطير شارف معه على الموت، ومرة في طريق الإياب عندما عاد الى سجنه وقد تأكد الاطباء ان مرضه مرض يسهل علاجه.

بدأ محفوظ روايته بالقاهرة التي غادرها الى الاسكندرية بعد وفاة أمه، ويتجول محفوظ فيها مع البطل في مبنى جريدة، ومقهى، وفندق العم خليل وغيرها من الأماكن، ولكنها كانت مظلمة غامضة يجهل البطل ومعه المتلقي ما سيصادفه فيها ؛ لذا فهو يخاف منها، ولكنها مع ذلك تظل واقعية تكاد أن نلمس تفاصيلها بأيدينا، غير ان الخوف منها نابع من خوف البطل نفسه من تلك الأماكن ؛ لذلك نشعر بأنها تكاد تسير البطل وتحدد خطواته فهو مضطر الى أن يذهب الى مبنى الجريدة لينشر اعلاناً يبحث فيه عن أبيه، ووجد انها ارحص طريقة يبحث فيها، قال : « لذلك استحسن أن يبدأ بالاعلان ولعله

أرخصها وأسهلها وأجداها ((38) ونشعر الخوف في نفسه وقد حاول محفوظ أن يبده حتى يمكن المتلقي من أن يتواصل مع البطل قال واصفاً موقع جريدة أبي الهول: «مبناها الأبيض المربع، والفناء الذي تتوسطه فسقية بفيلا ثري يوناني بالازارطة» ((39).

غير أن ما خفف عنه وطأة ولوج المبنى الفتاة الجميلة التي اشارت إليه بالدخول وتبين له ان الاشارة ليست له بل للساعي الواقف خلفه، وحتى تخفف هي من احراجها اخذته معها الى قسم الاعلانات (40).

وعلى الرغم من كبر مدينة القاهرة، نشعر بضيق البطل منها، وخوفه من كل شيء فيها، ففي كل شيء اشارة الى هذا الضيق وهذا الخوف، أما مدينة عبد الحليم فهي أسيوط، وهي بنظره واسعة رائعة منذ بدء الرحلة على الطريق وحتى خاتمتها، ولكنه يراها من خلال

قضبان سيارة السجن، ومع ذلك كان المكان الواسع يُظهر السعادة التي يشعر بها البطل. بل نجده ينظر الى الطريق بعين ملؤها التفاؤل و انتظار الغد المنشود، قال : « وأخذت أنظر من شباك العربة، وأذهب بعيني الى بعيد، فلا أرى الا السماء الزرقاء الصافية والرمال الصفراء المنبسطة. سماء زرقاء ورمال صفراء على مدى البصر، ولا شيء آخر غير طريق الإسفلت الذي يبدو مثل ثعبان حي يجري وبتلوى ((40). فقد كان طريق عبد الحليم ثعبان سريع يجري وبتلوى بجريانه مما يظهر سعادته في نظره الى الأمور، ولم يقل يزحف وبتكور على نفسه. لأمر ما ألم به.

وبهذا نرى أن الروائيين استطاعا استغلال المكان وتسخيره ليظهر من خلال حالة البطل النفسية، وجسدا من خلاله ردود أفعاله حيال أمر ما ألم به. مظهرين من خلال ذلك قدرة فنية رائعة على التصوير لا يكاد يشعر المتلقي معها الا بصدقهما الفني، وأدائهما التعبيري المؤثر.

وكان نجيب محفوظ بطبيعة الحال أكثر اقتداراً على ذلك، على الرغم أن إبراهيم عبد الحليم لم يكن أقل شأناً وكانت الرويتان حقاً قادرتين على الاستحواذ على المتلقي الذي يبقى مشدوداً إليها حتى النهاية.

هوامش البحث ومصادره :

(1) الطريق، نجيب محفوظ، دار مصر للطباعة، ط 2، 1967 : 12.

(2) م. ن : المكان نفسه.

(3) الطريق، إبراهيم عبد الحليم، دار مصر للطباعة، 1963 : 9.

(4) طريق محفوظ : 14.

(5) م. ن : 18.

(6) م. ن : المكان نفسه.

- (7) طريق عبد الحليم : 12.
- (8) م. ن : 15.
- (9) طريق محفوظ : 20.
- (10) نظرية الرواية علاقة التعبير بالواقع، مورس شرودر، وجون هولبرن وجورج هنري رالي، تر : د. محسن جاسم الموسوي، مكتبة التحرير، 1986 : 14.
- (11) م. ن : 15.
- (12) ينظر م. ن : 16.
- (13) فن القصة القصيرة، د. رشاد رشدي، دار العودة، بيروت . لبنان، ط 2، 1975: 30.
- (14) بناء الرواية، دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ، د. سيزا أحمد قاسم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1984 : 76.
- (15) ينظر الطريق نجيب محفوظ : 169.
- (16) البنية السردية في روايات عبد الرحمن مجيد الربيعي، سعد عبد الحسين العنابي، رسالة ماجستير، كلية التربية . الجامعة المستنصرية، 1994 : 25.
- (17) طريق محفوظ : 42.
- (18) م. ن : 29.
- (19) الفضاء الروائي عند جبرا ابراهيم جبرا، د. ابراهيم جنداري، مطابع دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 2001 م : 210.
- (20) طريق عبد الحليم : 142.
- (21) م. ن : 146.
- (22) م. ن : 147.
- (23) م. ن : 148.
- (24) طريق محفوظ : 169.
- (25) ضحك كالبكاء، إدريس الناقوري، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1986 : 217.
- (26) الفضاء الروائي عند جبرا ابراهيم جبرا : 176.
- (27) طريق محفوظ : 6.
- (28) طريق عبد الحليم : 34.

(29) م. ن : 35.

(30) لغرض تحديد مفهوم الوظيفة التفسيرية، ينظر الفضاء الروائي عند جبرا ابراهيم جبرا :

181 و ما بعدها.

(31) طريق محفوظ : 163.

(32) م. ن : 175.

(33) طريق عبد الحليم : 142.

(34) م. ن : 147.

(35) لغرض إدراك الوظيفة الإيهامية، ينظر بناء الرواية، سيزا قاسم : 111.

(36) طريق محفوظ : 175.

(37) م. ن : 9.

(38) م. ن : 38.

(39) م. ن : 39.

(40) م. ن : المكان نفسه.

(41) طريق عبد الحليم : 143.

The Impact of place in determine the characters Feature champion in najeeb mahfod (Al – Tareek) Novelette and , (Al – Tareek) for Abdul - halleem – Epraheem (Comparition Study)

each of them wrote This two novelette hold the same title (Al –Tareek) by creative novelist , the Similarity of title Attantion my Interesting , therefor I study The steps That the novelist craftsmanship the events of his novelette than I saw Researched the Impact of place and asses the Role in the art novelette structure and I used description to explain the champion Feature. These tow novelist creative new manner to explain the champion place and his Importance in novelette Structure , these tow novelist used the place and play a Role through psychological state and his action in very clear picture and any Reader can feel with article and accent action Najeeb Mahfood More creative despite that epraheem Abdul – halleem not less in his creation.

أثر المكان في تحديد ملامح شخصية البطل في رواية (الطريق) لنجيب محفوظ و (الطريق) لعبد الحليم ابراهيم (دراسة موازنة) :

تحمل الروايتان عنوانًا واحدًا هو (الطريق)، كتب كل واحدة منهما روائي مبدع ولعل ما أثار إهتمامي بهما هو تشابه العنوان ؛ لذلك آثرت تتبع المبدع أحداث روايته، ثم رأيت البحث في أهمية المكان ودوره في بناء الروايتين الفني، وملاحظة استعمال الوصف لتوضيح ملامح البطلين وقد استطاع الروائيان ابداع طرائق جيدة لتوضيح مكان البطل وأهميته في بناء الرواية فقد استطاعا استغلال المكان وتسخييره ليظهرا من خلاله حالة البطل النفسية وردود افعاله في ابداع واضح واقتدار على التصوير يشعر معه القارىء بصدقهما الفني وأدائهما التعبيري، وكان لنجيب محفوظ أكثر اقتداراً في عمله كله، على الرغم من أن ابراهيم عبد الحليم لم يكن أقل شأنًا في ذلك.